المسجد في فجر الاسلام

للدكتور علي حسني الخربوطلي
مدرس التاريخ الاسلامي

مسجد المدينة أول المساجد في الاسلام :

كان مسجد المدينة هو أول مسجد أنشأه المسلمون في صدر الاسلام . فقد خرج محمد صلى الله عليه وسلم وصديقه أبو بكر مهاجرين من مكة الى يثرب ، فوصلا في نهاية رحلتهما الشاقة الى (قباء) وهو تل على بعد ميلين من مكة ، وكان مصيفا لأهل مكة ، يرسلون اليه مرضاهم اذا كان هواؤه عليلا نقيا ، كما امتاز بالخصوبة فكان يمد مكة بما تحتاجه من فاكهة . وحينما بلغ الصديقان هذا المكان الخصب ، بركت ناقة محمد (القصواء) وأبت الاستمرار في المسير ، ورأى الرسول أن يمكث في قباء حتى يتأهب لدخول المدينة . وأقام المسلمون في هذا المكان مسجدا سموه مسجد (التقوى) تخليدا لهذه الذكرى المجيدة . وتذكر معظم المصادر العربية أن الرسول هو الذي أنشأ المسجد ثم أكمله عمار بن ياسر ، وقد جاء ذكره في الآية ١٩٨ من سورة التوبة .

كانت الأرض التي أقيم عليها مسجد المدينة الجديد ملكا لأخوين يتيمين هما سهل وسهيل ، سألهما الرسول عن ثمن الأرض فأبديا استعدادهما للتبرع بها فقالا : لا نطلب ثمنا لها الا ثوابا من الله . لكن الرسول حدد ثمنها بعشرة دنانير دفعها أبو بكر من ماله [1] . وكانت هذه الأرض تنتشر عليها القبور وأشجار النخيل ، فنقلت الجثث من القبور ، وقطعت أشجار النخيل ، ثم بنى محمد مسجدا بسيطا في مظهره وطريقة بنائه، يتناسب مع الدين اليسر السمح الذي يدعو اليه [2].

(١) الطبري حـ ٢ ص ١٦٣
(٢) انظر كتاب (حياة محمد) لارفنج الذي قمنا بترجمته ، ص ١٢٥

كان هذا المسجد عبارة عن ساحة مكشوفة الى السماء تحيط بها جدران من اللبن ، وقد أمر الرسول فيما بعد أن تمتد السقوف المسطحة من الأبنية المجاورة حتى تحيط كل الساحة المكشوفة اتقاء للشمس . وكان السقف مكونا من جذوع النخل التى اتخذت كدعائم يرتكز عليها الجريد والطمى وبلغت مساحة المسجد حوالى مائة ذراع مربع ، وكان له ثلاث أبواب ، أحدها نحو الجنوب حيث أصبحت القبلة فيما بعد ، والثانى كان يسمى باب جبريل ، والثالث باب الرحمة .

اشترك الرسول بيديه فى بناء هذا المسجد . وعند ارساء الأساس حمل الرسول حجرا ضخما فالتصق الغبار بصدره ، وأراد الصحابة نهيه عن ذلك لكنه أبى ، وأمر أبا بكر أن يضع حجره الى جنب حجر الرسول ، ثم أمر عمر ابن الخطاب أن يضع حجره الى جانب حجر أبى بكر ، ثم وضع أشراف المسلمين أحجارهم ، وتبعهم عامة المسلمين ، وكان الرسول يحمل اللبنات فى ثوبه ، فيحذو المسلمون حذوه [١] .

أصبح هذا المسجد فيما بعد قبرا للرسول وحرما نبويا . ورغم أنه قد أدخل عليه فيما بعد اصلاحات كثيرة فزادت مساحته الا أنه ظل دائما يحمل اسم (المسجد النبوى) ، فقد بناه الرسول بيديه [٢] .

تميز كل شىء فى المسجد فى بداية الأمر بالبساطة التامة . فكان يضاء فى الليل بسعف النخيل ، فلم تكن قد عرفت المصابيح والزيت بعد . وكان الرسول يخطب فى المسلمين وهو واقف على الأرض مستندا بظهره الى جذع نخلة من الجذوع التى استخدمت كأعمدة للمسجد وبعد فترة ، أقام منبرا جعله يرتفع ثلاث درجات عن المسجد ، وكان الرسول يخطب من فوق المنبر جالسا أو واقفا أو مستندا الى عصا .

لا نستطيع أن نجزم اذا كان الرسول قد اتخذ له محرابا لتحديد اتجاه القبلة فى مسجده أم لا . وكان الناس اذا قاموا للصلاة وقفوا صفوفا متوازية مولين وجوههم شطرا الجدار المواجه لبيت المقدس ثم حول الاتجاه فيما بعد الى مكة .

---

(١) الطبرى حـ ٢ ص ١٦٥

(٢) ارفنج : حياة محمد ص ١٢٦

وكان بلال الحبشى يعتلى السقف المسطح ويدعو المسلمين بصوته الندى الى الصلاة . من هذا الوصف يمكن أن نرى مميزات المسجد الجامع فى أبسط صورها، وهى الصحن والسقف لوقاية المصلين والمنبر [١] .

المساجد فى الأمصار الاسلامية فى فجر الاسلام :

فى عهد الخليفتين أبى بكر وعمر بن الخطاب خرجت الجيوش الاسلامية من الجزيرة العربية الى الأقطار المجاورة الخاضعة للدولتين الفارسية والرومانية تفتحها وتنشر فيها الاسلام والحضارة العربية . وكان المسلمون يحرصون على بناء مسجد جامع عند انشائهم المدن فى الأمصار المفتوحة لأنه أبرز صورة يعبرون بها عن سيادة الدين الاسلامى [٢] .

تقدم العرب فى الأراضى الفارسية والرومانية ، وأسقط هذا التقدم فى حوزتهم عددا لا يحصى من المبانى التى شادها صناع أكثر منهم فنا ، فورث العرب الخبرة والمهارة الفنية . وقد كان من نتيجة هذا الاندماج أن تطورت حاجات المجتمع الاسلامى الدينية التى حددها مسجد المدينة واصطبغت بصبغة الأقاليم التى فتحوها ، فنشأ بمرور الزمن فن يطلق عليه اسم الفن الشرقى أو الفن العربى أو الاسلامى . أما مادة البناء فسواء أكانت من الحجر أو الآجر أو اللبن فهذه كانت تخضع للظروف الغالبة فى كل منطقة ، ففى الشام تأثرت العمارة الاسلامية بطراز الشام المسيحى البيزنطى وما سبقه من الأطرزة الوطنية والرومانية . وفى العراق وفارس تأثرت بالطراز النسطورى والساسانى الذى أقامته التقاليد هناك. وفى مصر كان السكان الأقباط من أهل البلاد يقومون بعمل الزخارف البديعة .

كانت ثقافة وفنون الأمصار المفتوحة ذات طابع يونانى وسريانى وقبطى وفارسى ، نستطيع أن نجمل وصفها بقولنا أنها ثقافة هيلنية مسيحية . وقبل أن يلم العرب بالثقافة الهيلينية كانوا قد ألفوا منذ زمن طويل الفن الهيلينى وعمائره . ويستطيع المرء أن يتبين جليا التفاعل والتجاوب بين الاسلام والنصرانية فى ميدان الفن . ذلك أن جيوش الاسلام رأت فى المدائن ودمشق وبيت المقدس ومصر

---

(١) حتى : تاريخ العرب ص ٣٢٣

(٢) انظر كتابنا (تاريخ العراق فى ظل الحكم الأموى) ص ٣٢٧

أعمال الفن من عمارة ونحت ، وشاهدت بدائع الصناعات كالنسيج والصباغة ، فأيقظ ذلك كله فى نفوس العرب الرغبة فى تقليدها وجلبها لأنفسهم . ذلك أن العرب على النقيض من الشعوب الهمجية ، تجنبوا التخريب ، وحافظوا على تلك الكنوز الفنية ، وأضفوا عليها طابعهم الخاص [١] .

ظهرت عدة مدارس متميزة للفن العربى وهى : (١) السورى المصرى وكان يحتذى فيه المثل اليونانى الرومانى وما سبقه من اطرزة وطنية . (٢) الطراز العراقى الفارسى المأخوذ من الطراز الساسانى والطرازين الكلدانى والآشورى القديمين (٣) طراز الأندلس وافريقيه الشمالية ويتضح فيه الأثر الوطنى المسيحى والقوطى وكان يسمى الطراز المغربى (٤)الطراز الهندى وتبدو فيه معالم الطراز الهندوسى [٢] .

كان أول مسجد جامع أنشأه المسلمون فى الأمصار هو مسجد المدائن بالعراق [٣] ، وقد أنشأه سعد بن أبى وقاص وأصحابه [٤] . فما كاد سعد يدخل المدائن حتى « أمر الناس بايوان كسرى فجعل مسجدا للأعياد ، ونصب فيه منبرا ، فكان يصلى فيه وفيه التماثيل » [٥] . وعندانشاءالبصرةقامعتبةبنغزوان ببناء مسجدها ، وعند تمصير الكوفة قام سعد بن أبى وقاص ببناء مسجد فيها ، ثم بنى سعد مسجد الأنبار [٦] . وكان مسجد الكوفة كمسجد البصرة فضاء مربعا مكشوفا تحيط به أسوار من القصب حولت فيما بعد الى أسوار من الطمى واللبن . وكان المسجدان يشبهان مسجد الرسول فى المدينة .

وفى مصر ، بنى عمرو بن العاص فى الفسطاط أول مسجد فى القارة الافريقية. ويذكر (هل)[٧] أن عمرو استعان بمهندس نصرانى ، فقد كان عمرو مرتبطا بمعاهدة

---

(١) جوزيف هل : الحضارة العربية (ترجمة الدكتور العدوى) ص ٥٩
(٢) حتى : تاريخ العرب ص ٣٢٤ (ترجمة مبروك نافع) .
(٣) نخالف بذلك رأى الدكتور حتى الذى يذهب الى أن أول مسجد هو مسجد البصرة .
(٤) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٢٩٨
(٥) الطبرى حـ ٤ ص ١٧٧
(٦) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٢٩٨
(٧) الحضارة العربية ص ٥٩

مع المسيحيين ، تقضى بترك كنائسهم وعدم التدخل فى شئون عبادتهم . وكان جامع عمرو مستطيل الشكل ، بسيطا ، ليس محرابا ولا مئذنة ، وقد زوده عمرو فيما بعد بمنبر صنعه وأهداه اليه ملك النوبة المسيحى .

وفى الشام ، وجد العرب فى دمشق كنيسة القديس يوحنا ، التى كان لها تأثير عميق فى نفوسهم جعلهم يتخذونها مقرا لصلاتهم ، وكان بناء معماريا فاخرا ، مشيدا على أطلال معبد وثنى، ولها باب عظيم، فتكون سدته من أعمدة كورنثية تعلوها تيجان ثمينة الزخرفة ، وتغطى قبابها صحن الكنيسة ، على حين تغطى الضفائر المذهبة المتلألئة جزءا من جدرانها الداخلية . وأخذ المسلمون الأجزاء الشرقية لأنفسهم ، وأصبحوا يمرون مع المسيحيين من باب واحد لأداء الصلاة فى القسم الخاص بهم ونقب المسلمون فى بيت المقدس عن المسجد الأقصى (معبد سليمان من قبل) الذى تحدث عنه النبى ليلة أسرى به ، وشيد عمر عند المكان الذى عرج منه الرسول مسجدا [١] .

لما تولى معاوية بن أبى سفيان أراد أن يزيد كنيسة القديس يوحنا فى المسجد بدمشق ، فأبى النصارى ذلك فأمسك ، وحاول عبد الملك بن مروان أن يدفع لهم مبلغا من المال فأبوا أيضا ، وأعاد الوليد بن عبد الملك نفس المحاولة وهدد بهدم الكنيسة ، ونفذ وعيده فهدم الكنيسة وأدخلها فى المسجد . فلما تولى عمر بن عبد العزيز شكى النصارى اليه ما فعل الوليد بهم فى كنيستهم ، فكتب الى عامله يأمره برد ما زاده فى المسجد عليهم ، فكره أهل دمشق ذلك ، وأخيرا اتفق عمر مع النصارى على أن يترك لهم جميع كنائس الغوطة مقابل عدم مطالبتهم بكنيسة يوحنا [٢] .

كان مسجد المدينة أول مسجد صنع له محراب ، وسرعان ما أصبح المحراب ظاهرة عامة فى كل المساجد ، وكان كالمذبح المسيحى يعتبر مكانه أقدس الأماكن فى البناء ، ومن أجل ذلك كانت المحاريب يبالغ فى زخرفتها كثيرا ، ونستطيع بناء على هذا أن نقرر أنها تعتبر المقياس الذى تقاس به تطور الأطرزة فى فن الزخرفة الاسلامية .

---

(١) هل : الحضارة العربية ص ٥٩

(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٣١

بعد مصرع على بن أبى طالب ومحاولة الاعتداء على حياة معاوية بن أبى سفيان، أدخل معاوية المقصورة على المسجد ، وهو جزء فى داخل المسجد يحيط به سياج . وكما أدخل الأمويون المقصورة ، أدخلوا المئذنة ، وعلى ذلك فبلاد الشام تعتبر الموطن الأصلى للمئذنة وفيهـا كانت المئذنة تأخذ شكل برج المرقب الوطنى أو برج الكنيسة المربع الذى تلاه . فقد كانت مئذنة المسجد الأموى فى دمشق فى الأصل مرقبا (ناطورا) يتبع كنيسة القديس يوحنا [١] .

ثم زيد الايوان على المساجد ، وهو عبارة عن صحن كبير تقوم فيه الأعمدة الضخمة ، ترد المطر وحرارة الشمس ، كما تقوم فيه فى الوقت نفسه أقنية الماء لوضوء المصلين ، وأصبحت المساجد تضاء بالشموع والقناديل [٢] .

كانت المساجد التى شيدت خلال العصر الأموى أكثر فخامة من المساجد التى شـيدت فى بداية الفتـح العربى ، ويعلل (ديومبين) [٣] ذلك بأن الفاتحين من المؤمنين كانوا شديدى الاعجاب بفخامة الكنائس النصرانية ، فأرادوا أن يظهروا قدرتهم على أن فى امكانهم أن يضارعوا النصرانية ويبنوا مساجد لا تقل جمالا عن كنائسهم .

دور المساجد فى حياة المسلمين العامة :

كانت المساجد فى فجر الاسلام مركزا من مراكز الحياة العامة : مركزا للحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية الى جانب وظيفته الدينية . كان المسجد مركزا للناس ، ومقرا للسياسة ، ومعهدا للعلوم المختلفة ، فيه يجتمع الناس ، وفيه ينتقدون حكامهم ، وفيه تذاع قرارات الدولة ، أو تعلن الثورة ، وفيه تدرس العلوم والآداب والفقه ، فقد كان المسجد يختلف تماما عن مساجد اليوم ، ويمكننا أن نشبهه بالبرلمانات فى الوقت الحاضر ، فقد كان يشبه الميدان الرومانى كمركز للحياة السياسية والاجتماعية [٤] .

اتخذ ولاة الخلفاء الراشدين من المساجد أماكن مختارة يصرفون منها شئون الحكم ويحفظون فيها أموال المسلمين [٥] . ولعبت المساجد دورا فى بث روح

(١) حتى : تاريخ العرب ص ٣٢٧
(٢) الدينورى : الأخبار الطوال ص ٢٥٣
(٣) النظم الاسلامية ص ٢٦٣ .
(٤) أرنولد : الخلافة ص ١٧
(٥) الطبرى حـ ٤ ص ١٩١

الثورة فى نفوس أهالى الأمصار الاسلامية ضد عثمان بن عفان [١] . ثم أصبحت المساجد فى عهد الدولة الأموية هى كل كل شيء بالنسبة لولاة الأمصار ، فقد كان على كل أمير أن يقصد الى مسجد الولاية حين يوليه الخليفة عليها ، وهناك يعلن سياسته الجديدة على الناس من منبرها ، وبعد قيامه بهذا الواجب التقليدى يصبح أميرا لهذه الولاية ووكيلا للخليفة بصورة رسمية شرعية . وكانت كتب الخليفة وأوامره تقرأ على الناس فى المساجد . وكثيرا ما كان الولاة الأمويون يبعثون مناديهم لينادوا فى الطرقات العامة يدعون أهلها الى صلاة جامعة ولا يكون اليوم يوم جمعة،ومعنى ذلك أن الوالى يريد الصلاة فى المسجد ويريد أن يحضر اجتماعه كل المسلمين حتى يبلغهم أمرا أو يشرح سياسة جديدة ، وكان بعض الولاة يأمرون الشرطة باحضار الناس الى المسجد بالقوة ، وكان منادى زياد بن أبى سفيان ينادى فى طرق الكوفة : « ألا برئت الذمة من رجل من الوفاء والشرط والحرس لم يحضر المسجد » [٢] . وكان زياد يخرج سريره من قصر الامارة الى مسجد الكوفة حتى يجتمع الناس حوله ، فقد كان يكره اجتماعهم فى بيوتهم [٣] . وكانت المساجد المكان الذى تحشد عندها الجيوش ، وتخرج منا قاصدة وجهتها للقيام بالفتوح والغزوات .

كانت أرض المساجد تغطى عادة بالحصباء . وجرت عادة أهل العراق فى مساجدهم أن يحصبوا ولاتهم اذا لم يعجبهم حديثهم ، وكان المغيرة بن شعبة يسكت عن حصبهم له ، ولكن زياد بن أبى سفيان أراد أن يمنع هذه العادة ، فلما حصبه أهل الكوفة فى المسجد أرغم جميع الحاضرين على القسم على عدم اشتراكه فى الحصب ، وقطع أيدى كل من أبوا القسم [٤] ، وأخيرا رأى زياد أن ينشيء المقصورة فى مسجد الكوفة ليتجنب حصبه [٥] ، وكانت المقصورة عبارة عن سياج حول المحراب [٦] . أما الحجاج بن يوسف فكان يأمر حرسه بالوقوف على أبواب مسجد البصرة حتى اذا حصبه أهلها أعملوا فيهم القتل [٧] .

---

(١) الأصفهانى : الأغانى حـ ١١ ص ٢٨ (طبعة دى ساسى) .
(٢) الدينورى : الأخبار الطوال ص ٢٥٣
(٣) المرجع السابق ص ٢٣٦
(٤) الطبرى حـ ٦ ص ١٣١
(٥) الطبرى حـ ١ ص ١٣٢
(٦) مقدمة ابن خلدون ص ١٨٨
(٧) ابن قتيبة : الامامة والسياسة حـ ٢ ص ٣٢

كانت المساجد مركزا للقيام بالشعائر الدينية ، وكانت المصاحف تحفظ بالمساجد ، واهتم الولاة الأمويون بالأذان والخطب فى المساجد . وكان المؤذنون يتوارثون — عادة — الآذان [١] .وكان بشر بن مروان بن الحكم أول من أحدث الأذان فى العيدين ، وأول من جعل الخطبة خطبتين وقعد فى الأولى منهما [٢] . وكانت الامامة فى الصلوات الخمس فى المساجد الحكومية لمن ينتدبه الوالى أو الخليفة ورزقه من بيت المال ، أما مساجد العامة فالامام يختار برضا المصلين ، أما الامامة فى صلاة الجمعة فهى للوالى أو نائبه [٣] . وكان المحتسب يمنع اطالة الصلاة ، لأن الضعفاء يعجزون عن ذلك ، كما أن هذه الاطالة تعطل أصحاب الأعمال ، وكان الرسول ينهى عن ذلك دائما [٤] . كما كان المحتسب يعاقب كل من ترك صلاة الجمعة [٥] .

اتخذ المسلمون المساجد مركزا من مركز الحياة الاقتصادية ، فكانت مكانا يحتفظ به الخلفاء والولاة لحفظ الخزانة العامة ، وكان الصيارفة يجلسون على أبواب المسجد حيث يقومون بعمليات مبادلة العملة النقدية أو اقراض المحتاجين ، كما كان كثير من التجار يحرصون على عقد صفقاتهم التجارية فى المساجد ، وكثيرا ما أقيمت الأسواق على مقربة من المساجد .

لعبت المساجد دورا كبيرا فى النهضة العلمية والأدبية فى صدر الاسلام ، وخاصة مساجد البصرة والكوفة ، فقد صارت هاتان المدينتان مركزين نشطين للحياة العلمية، ولم يكن فى القرن الأول الهجرى مدينة تستطيع منافستهما، ففيهما وضعت علوم العقائد والفقه ، وفيهما نشأت مدرسة النحويين واللغويين [٦] . ولذا يعتبر (نيكلسون) [٧] البصرة مركز الحياة العقلية فى الاسلام . ولعل من الأسباب التى أدت الى ازدهار الحياة العلمية والأدبية فى العراق فى العهد الأموى أن أهل العراق رأوا أن ينصرفوا عن السياسة حتى لا يتعرضوا لاضطهاد ولاتهم الأمويين ، فوجهوا اهتمامهم الى الاشتغال بالعلوم والآداب ، كما أن

---

(١) ابن قتيبة : المعارف ص ٢٤٦
(٢) ابن رسته : الأعلاق النفسية ص ١٩٩
(٣) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ١٣٠
(٤) الماوردى : الأحكام السلطانية ص ٢٤٣
(٥) المرجع السابق ص ٢٤٣
(٦) بارتولد : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٤٠
(٧) Lit. Hist. of the Arabs, P. 220

الموالى أرادوا أن يصلوا الى مرتبة العرب ، فأقبلوا على تعلم اللغة العربية حتى اذا أجادوها بدأوا ينهلون من مناهل الأدب والعلم [١] .

شهدت المساجد الكثير من مظاهر هـذه النهضة العلمية والأدبية ، وكان لكراهية بعض المسلمين للغناء والموسيقى والفنون أثره فى نشاط المجالس الأدبية فى المساجد [٢] . وكانت المساجد بمثابة مدارس يقصدها طلاب العلم ، فقد كان كل عالم يتخذ سارية من سوارى المسجد يجلس تحتها ، ويلتف طلابه وتلاميذه حوله . وهناك كانت الصبية تتلقى دروس القرآن ثم العلوم العربية كالتفسير والحديث والفقه وأصول الدين والنحو واللغة والبيان والأدب . وكان المحتسب يراقب المعلمين حتى لا يقصرون فى عملهم [٣] . وكثيرا ماشهدت المساجد المجالس الأدبية التى كان يعقدها العلماء ، وتدور فيها محاورات أدبية حول التفضيل بين الأمصار والمدن [٤] . كما شهدت المساجد كثيرا من المحاورات والمناقشات التى تدور حول العصبية القبلية وتفضيل قبيلة على أخرى وخاصة بين تميم وقيس .

كان القصاص يتخذون من المساجد مكانا مختارا لقص قصصهم . فيجلس القاص بالمسجد ويلتف حوله الناس ، فيروى لهم القصص والتواريخ التى تمتزج فيها العبرة بالتسلية . وكان هناك نوعان من القصص : قصص العامة ، وقصص الخاصة ، « فأما قصص العـامة فهو الذى يجتمع اليه النفر من الناس يعظهم ويذكرهم ، فذلك مكروه لمن فعله ولمن استمعه ، وأما قصص الخاصة فهو الذى جعله معاوية ،ولى رجلا على القصص ، فاذا سلم من صلاة الصبح جلس وذكر الله عز وجل وحمده ومجده وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ، ودعا للخليفة ولأهل ولايته وحشمه وجنوده ودعا على أهل حربه وعلى المشتركين كافة [٥] » .

كان على بن أبى طالب يأمر بطرد القصاص من المساجد ، أما معاوية فقد اعتمد على القصص فى تأييد ملكه ودولته . وأشهر من قام بالقص فى العراق الحسن البصرى ، وكان يعتمد على التذكير بالآخرة ، ويستخرج العظة مما يقع حوله من أحداث ، وكان يجلس فى آخر مسجد البصرة وحوله الناس يسألونه

---

(١) انظر كتابنا (تاريخ العراق فى ظل الحكم الأموى) ص ٣٢٩
(٢) الأصفهانى : الأغانى حـ ٢ ص ١١٩
(٣) الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص ٢٤٢
(٤) الأصفهانى : الأغانى حـ ٥ ص ١٤٩
(٥) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ٢٥٣

فى الفقه وفى حوادث الفتن التى عاصرها فيحدثهم بما صح عنده من حديث ، ويقص عليهم فيعظهم ويذكرهم [١] . ومن أبرز القصاص صالح بن مسرح ، أحد زعماء الخوارج ، وكانت كل قصصه تدور حول الأمر بالتقوى، والزهد فى الدنيا والرغبة فى الآخرة ، وكان يكثر من ذكر الموت [٢] .

وكانت المساجد أيضا مسرحا لانشاد الشعر ، فكان الشعراء على اختلاف أديانهم وأوطانهم ، ينشدون قصائدهم من فوق منابرها فكان الأخطل الشاعر النصرانى يدخل مساجد الشام والعراق فيقف المسلمون له اجلالا [٣] . وشهدت المساجد الكثير من المفاخرات القبلية والحزبية ، والمفاخرات والنقائض بين الشعراء ، وخاصة بين جرير والفرزدق ، وكثير والأحوص ، والكميت والطرماح [٤] . وكان الكميت نزارى شيعى يتعصب لمضر (العدنانية) ، بينما كان الطرماح شامى قحطانى يتعصب للقحطانية (اليمنية) ، فتعصب الكميت لأهل الكوفة بينما تعصب الطرماح لأهل الشام [٥] .

استفاد المسلمون من المساجد فى بعض الأغراض الاجتماعية المختلفة ، فيها يتلاقى الناس فيتحادثون ويتسامرون ويتآلفون ، ويقيمون فيها بعض احتفالاتهم فى الأعياد والمواسم الدينية والاجتماعية ، ويعقدون بها عقود الزواج . وكانت (الخاطبات) يجلسن فى المساجد لممارسة مهنتهن ، فيحدثنا ابن عبد ربه [٦] عن امرأة كانت تداوم الجلوس فى مسجد البصرة ، وكانت تمتهن التوفيق بين الرجال والنساء بالزواج ، وكان الرجال يحتشدون حولها فى المسجد وكل يذكر لها الشروط التى يرى وجوب توفرها فى زوجة المستقبل . وكان زياد بن أبى سفيان ونائبه سمرة بن جندب يجلسان فى مسجدى البصرة والكوفة لحل المشاكل الزوجية وازالة الخلاف بين الأزواج والزوجات .

---

(١) احمد أمين : فجر الاسلام ص ١٩٢
(٢) الطبرى حـ ٧ ص ٢١٧
(٣) الاصفهانى : الأغانى حـ ٧ ص ١٧١
(٤) الاصفهانى : الأغانى جـ ٧ ص ٦٨ و جـ ١٠ ص ١٤٩
(٥) الاصفهانى : حـ ١٥ ص ١٠٩
(٦) العقد الفريد حـ ٦ ص ١٠٧

لا نأخذ على المساجد فى فجر الاسلام الا أنها كانت مظهرا من مظاهر العصبية القبلية ، فقد كانت كل قبيلة تقيم مسجدا ليصلى فيه أبناء القبيلة ، أما المساجد الجامعة فكانت مقسمة الى أقسام قبلية ، فتختص كل قبيلة بجزء من المسجد ، فلا تلتقى بغيرها من القبائل . ففى الكوفة — مثلا — كان مسجدها أول بناء خطه سعد بن أبى وقاص، وحرص سعد أن يمثل هذا المسجد الروح القبلية أصدق تمثيل ، فجعل لكل قبيلة مكانا بهذا المسجد[1] . وكان هذا التقسيم القبلى للمسجد يناقض الحكمة التى قصدها الله من الصلاة ، وهى أن يتساوى جميع المسلمين بين يدى خالقهم . وقسمت المدن الاسلامية الجديدة فى الأمصار الى أقسام قبلية فكان لكل قسم قبلى مسجد خاص بهذه القبيلة ، ولا شك أن هذا التقسيم أدى الى استمرار الفوارق القبلية واذكاء نيران العصبية بين القبائل .

---

(١) الطبرى حـ ٤ ص ١٩٤

أهم مصـــادر البحث

أحمد أمين : فجر الاسلام ، (مطبعة الاعتماد ١٩٢٨ م) .

الأصفهانى : الأغانى ، (مطبعة التقدم ١٣٢٣ هـ) .

بارتولد : (ف .) تاريخ الحضارة الاسلامية ، ترجمة حمزة طاهر (مطبعة المعارف ١٩٤٢)

البلاذرى : فتوح البلدان (مطبعة الموسوعات بالقاهرة ١٣١٩ هـ ـ ١٩٠١ م) .

حتى : الدكتور فيليب ، تاريخ العرب ، ترجمة مبروك نافع ، القاهرة .

ابن خلدون : المقدمة ، (المطبعة البهية المصرية) .

الدينورى : الأخبار الطوال ، (ليدن ١٨٨٨) .

ديومبين : النظم الاسلامية ، ترجمة صالح الشماع وفيصل السامر (بغداد ١٩٥٢) .

ابن رسته : الأعلاق النفيسه (ليدن ١٨٩١) .

الطبرى : تاريخ الأمم والملوك (المطبعة الحسنية بالقاهرة) .

ابن عبد ربه : العقد الفريد (لجنة التاليف والترجمة والنشر ١٩٤٨) .

على حسنى الخربوطلى : الدكتور ، تاريخ العراق فى ظل الحكم الأموى (دار المعارف بالقاهرة ١٩٥٩) حياة محمد (تأليف واشنجتون ارفنج) ، (دار المعارف ١٩٦٠) .

ابن قتيبة : الامامة والسياسة (القاهرة ١٣٢٥ هـ) .
المعارف (المطبعة الاسلامية ١٩٣٥) .

المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم (ليدن ١٩٠٦) .

نيكلسون : رينولد ، (Alit. Hist. of the Arabs (London 1923

هل : (ى) الحضارة العربية ، ترجمة الدكتور ابراهيم العدوى (من سلسلة الف كتاب) .